

## العنف في المدرسة الجزائرية : عوامله و سبل الوقاية منه

د. عماد بن تروش: جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف: الجزائر

د. لياس شرفة: جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف: الجزائر

المخلص :

يشكل موضوع العنف المدرسي محور اهتمام الكثير من الباحثين المهتمين بالمجال التربوي عموما و بالشأن المدرسي الجزائري خصوصا، و لازال هذا الموضوع يثير الجدل في الجزائر نظرا لأن معدلات العنف الجزائرية قد بلغت أرقاما قياسية غير مسبوقة و كذلك لأنها تعبر بشكل واضح عن عمق الأزمة الأخلاقية التي تعاني منها المدرسة الجزائرية. و هناك عوامل عدة تتداخل في هذه الظاهرة على غرار ضعف آليات الضبط المدرسي، المناخ التربوي الغير مناسب داخل المدرسة، اختلالات التنشئة الاجتماعية لدى التلاميذ... إلخ مما يستدعي عرض أهم أساليب مكافحة هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: العنف المدرسي ، عوامله ، الوقاية منه ، الأزمة القيمية

## Violence in Algerian schools causes and preventive mechanisms

### Abstract

Schools violence has drawn a lot of interest from researchers concerned generally in educational field and in especially in the Algerian school matter their topic still arouses controversy in Algeria because of the unprecedentedly reached rates higher rates of violence and because it clearly expresses the deep moral crisis that affects the Algerian school as well and there are many overlapped factors in this phenomenon similar to school control failure. In appropriate school environment socialization disorder among school boys...ect. Calling for introduction of main methods to combat their phenomenon.

**Key words:** Violence schools ,causes and preventive mechanisms

### مقدمة

تعد ظاهرة العنف المدرسي في الجزائر فضاءً بحثياً خصباً للباحثين في مختلف حقول المعرفة الإنسانية (علم الاجتماع، علم النفس، علوم التربية... الخ)، خاصة و أن الواقع التربوي اليوم أفصح عن تنامي غير مسبوق لهذه الظاهرة بتجاوزها الخطوط الحمراء التي وضعها المربون لضمان السير الحسن للعملية التربوية والتعليمية، وكذا لعملية استدماج الأنساق القيمية الأخلاقية التي يرتضيها المجتمع ويعتمدها في شخصية التلميذ وسلوكه، و من تم تحقيق الهدف الأسمى الذي تتوق إليه كافة المجتمعات، وهو إنتاج أفراد قادرين على تحقيق النهضة العلمية والتنمية المنشودة. فالمؤسسات التعليمية و مختلف وسائل الإعلام المحلية والوطنية تزودنا يوميا بتقارير وإحصاءات وحوادث توشح كلها على أن المدرسة الجزائرية أضحت و من خلال ظاهرة العنف التي استغلقت فيها، تعيش أزمة أخلاقية قيمية خطيرة تهدد كيانها و تعبت بالأهداف التربوية التي تتطلع إلى تحقيقها. وضمن هذا السياق كشف المفتش العام لوزارة التربية عن إحصاء حوالي 40 ألف حالة عنف مدرسي سنويا عبر مختلف المؤسسات

التربوية بالجزائر، كما تم تسجيل حوالي 260 ألف حالة عنف تم إحصاؤها ما بين سنتي 2000 و 2014 و أفادت إحصائيات صادرة عن وزارة التربية أن العنف ما بين التلاميذ يمثل نسبة 80% في حين وصلت نسبة العنف الذي يقوم به التلاميذ ضد أساتذتهم نسبة 13% و الأساتذة ضد التلاميذ 5% و الأساتذة ضد بعضهم البعض 2% مما دفع بالقائمين على الوزارة على استحداث خلايا إصغاء لانشغالات و مشاكل التلاميذ على مستوى المؤسسات التربوية يشرف عليها مفتشون مختصون في الوساطة (محمد لهوازي، 2017، 40 ألف حالة عنف مدرسي في الجزائر!، [www.echoroukonline.com](http://www.echoroukonline.com)).

كما قد أضحى مألوفًا لدينا أن نسمع بحدوث جرائم القتل داخل المؤسسة التربوية، إحداهن العاهات، تبادل الشتائم، التهديد والوعيد... الخ، و كل ذلك يتم بين طرفي العملية التربوية و نقصد هنا بين « المربي » الذي يضطلع بمسؤولية تربية التلاميذ، و بين الذي « يتلقى التربية »، و الذي يفترض أن تكون التربية التي تلقاها قد هذبت و رشدت سلوكه ضمن الوسط المدرسي الذي ينتمي إليه. و أمام هذه المفارقات و هذه المعطيات الخطيرة لا يسعنا كباحثين مهتمين بالشأن التربوي عمومًا و المؤسسات التربوية خصوصًا - و من خلال هذه المساهمة العلمية- إلا أن نفتح نقاشًا جادًا و ثريًا نحاول من خلاله استعراض الظروف والعوامل التي تنمو في ظلها ظاهرة العنف المدرسي في الجزائر، بالإضافة إلى السبل و الآليات الكفيلة بوقاية المدرسة الجزائرية من هذه الظاهرة. هذا و لقد رأينا أنه من المهم جدًا منهجيًا و معرفيًا و قبل الخوض في هذه المسألة أن نتطرق إلى بعض المفاهيم الأساسية للمداخلة مستهدفين فهم معانيها و تعقل محتواها الدلالي.

### أولاً : المفاهيم الأساسية و محتوياتها الدلالية :

#### (1) مفهوم العنف:

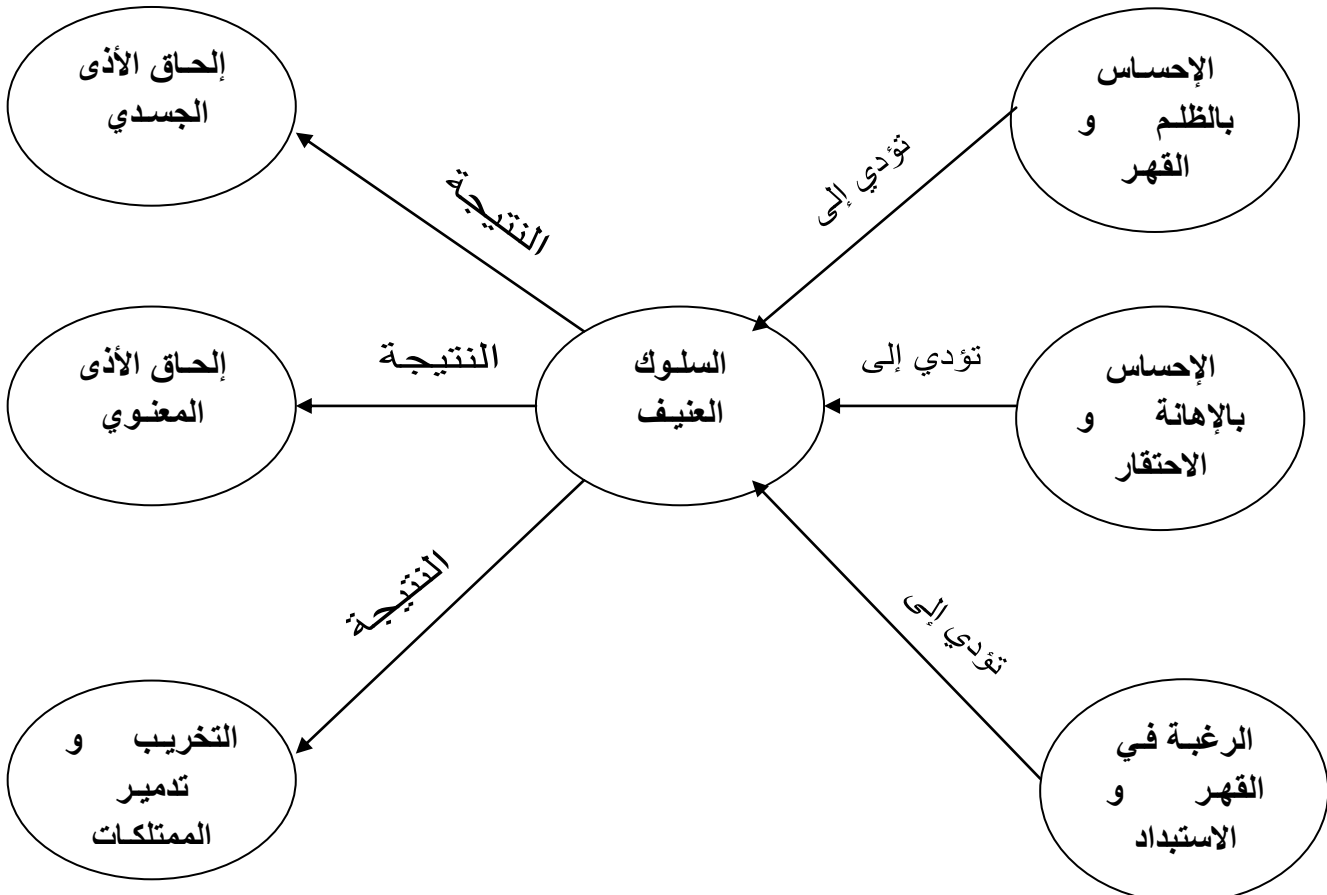
إن ظاهرة العنف بشكل عام في الأطر مختلفة تعد من أكثر الظواهر التي تسترعي اهتمام الجهات الحكومية المختلفة من ناحية، و الأسرة و المؤسسات التربوية من ناحية أخرى، إننا نواجه اليوم تطورًا ليس فقط في كمية أعمال العنف، و إنما - وهو الأخطر - في الأساليب التي يستخدمها الفرد في تنفيذ السلوك العنيف، كالقتل و الهجوم المسلح ضد الأفراد و المؤسسات و الممتلكات العامة والخاصة، الاعتداء على الأفراد و إلحاق الأذى بهم. و عليه فلا يختلف اثنان بأن العنف مصطلح يؤشر دائمًا إلى ذلك السلوك الخطير، المستهجن الذي يستهدف في المقام الأول إلحاق الأذى بالآخرين و ترهيبهم، و فرض منطق القوة والتسلط ضدهم.

و في هذا الصدد وجدت عدة تعريفات لمفهوم العنف تتساق مضمانيها مع الوصف التي قدمناه، و عليه فقد عرف الكثير من الباحثين العنف على أنه كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، قد يكون الأذى جسميًا، أو نفسيًا. فالسخرية و الاستهزاء من الفرد و فرض الآراء بالقوة و إسماع الكلمات البذيئة جميعها أشكال مختلفة لنفس الظاهرة (يحي محمد نبهان، 2008، ص 166).

أما الباحث إيسنارد فيرى أن العنف كغيره من أشكال السلوك هو نتاج مأزق علائقي بحيث يصيب التدمير ذات الشخص، في نفس الوقت الذي ينصب فيه على الآخر لإبادته فتشكل العدوانية طريقة معينة للدخول في علاقة مع الآخر (كامل عمران، 2003، ص 120). إنه بعبارة أخرى شكل من أشكال التأزم والعدوانية في العلاقة بين فردين أو أكثر ينطوي على سلوكيات وممارسات تستهدف إلحاق الضرر والألم بالآخرين للتعبير إما عن رفض الظلم والقهر والإهانة والاحتقار، أو الرغبة لفرض القوة والرغبة والتسلط على من يرغب الاستبداد بهم، و فرض منطق الرضوخ والاستسلام له.

أما الباحث الاجتماعي علي سموك فيرى أن العنف في الواقع الاجتماعي قد يكون استخداماً فعلياً للقوة أو تهديداً باستخدامها، و قد يعبر عن مجموعة من التناقضات والاختلافات الكامنة في البناء الاجتماعي (علي سموك، 2006، ص 35).

وقد يكون العنف سلوكاً فردياً أو جماعياً فالعنف الفردي هو قيام و المبادرة فردياً بالهجوم اللفظي أو بأفعال عدوانية، و تحطيم و تخريب الممتلكات الخاصة لمصادر السلطة أو برموزها تعبيراً عن اعتراض الفرد للواقع الذي يعيش فيه نتيجة الإحساس بالظلم و المهانة. أما العنف الجماعي فهو اشتراك فرد أو جماعة من الأفراد في الهجوم اللفظي في أفعال عدوانية تجاه فرد أو جماعة أخرى، و يأخذ شكل التمرد والعصيان وتحطيم الممتلكات تعبير عن اعتراضهم نتيجة الإحساس بالقهر والاحتقار (تهاني محمد عثمان منيب، و عزة محمد سليمان، 2007، ص 12)، و الميل للعنف هو الحلقة التي تربط بين العداء كدافع لسلوك العنف الفردي أو الجماعي، و بين العنف كسلوك فعلي موجه ضد من يستهدف بالأذى و الضرر.



**شكل رقم 1: يبين أسباب تشكل السلوك العنيف و الأضرار المترتبة عنه****المصدر : الباحثان**

هذا عن مفهوم العنف بشكل عام ،و هو على العموم لا يختلف كثيراً عن مفهوم العنف المدرسي ،والذي يحتفظ ببعض الخصوصية المرتبطة بالمجال الذي يتم فيه، حري بنا استعراض معانيه ودلالاته على النحو التالي.

**(2) مفهوم العنف المدرسي :**

يعرف الباحث "شيدلر" العنف المدرسي على أنه "السلوك العدوانى اللفظي وغير اللفظي نحو شخص آخر يقع داخل حدود المدرسة"، و العدوان هنا هو كل سلوك يستهدف حقوق الآخرين، وقد يتخذ شكلاً مادياً أو شكلاً معنوياً من قبل التلاميذ في المدرسة ينسحب عليه هذا التعريف. فهناك بعض مظاهر السلوك العدوانى للتلاميذ تكون موجهة إلى المدرس كالشتم والسب و العصيان و إثارة الفوضى بأقسام الدراسة، و قد تكون موجهة إلى التلاميذ الآخرين كالتشاجر والضرب، وقد تكون موجهة نحو المدرسة ،كالكتابة في الجدران و سرقة أجهزة ،وتحطيم ممتلكات المدرسة (أحمد حويتي، 2004/2003، ص 235-236). كما يعرف أيضا على أنه مجموع السلوك غير المقبول اجتماعياً بحيث يؤثر على النظام العام للمدرسة ،و يؤدي إلى نتائج سلبية بخصوص التحصيل الدراسي ،و قد يكون العنف المدرسي ذو طابع مادي على شاكلة الضرب، و المشاجرة، و السطو على ممتلكات المدرسة، و التخريب داخل المدارس والكتابة على الجدران و الاعتداء الجنسي والقتل ،كما قد يكون معنوي كسب والشتم والسخرية والاستهزاء والعصيان و إثارة الفوضى بأقسام الدراسة (أحمد حويتي، 2004/2003، ص 236). إن الدارس المتخصص لهذه التعاريف يخلص إلى أن العنف المدرسي كظاهرة اجتماعية ينطوي على مجموعة سلوكيات تأخذ طابعاً عدائياً يتم في فضاء المدرسة يستهدف إلحاق الأذى والضرر والألم إما على الأفراد ( تلاميذ، مدرسين ) ،أو على الممتلكات والتجهيزات المدرسية مما يؤثر بشكل عام على المردود التربوي لهيئة التدريس والتحصيل المدرسي للتلاميذ.

وما يترتب عنه من انخفاض للنتائج المدرسية و ظهور سلوكيات انحرافية خطيرة تسمم المناخ التربوي للمدرسة ،و تقوض الجهود الرامية إلى رفد قطاع التربية وترقيته ،ومن تم تحقيق الأهداف المرجوة منه على الصعيد العلمي والمعرفي ،والأهم من ذلك على الصعيد التربوي التهذيبي. هذا وتجدر الإشارة أن للعنف المدرسي أشكال متغيرة حري بنا استعراضها على النحو التالي.

**ثانياً: أشكال العنف المدرسي :****(1) العنف الجسدي:**

يجمع مختلف المفكرين والباحثين المهتمين بالشأن التربوي عموماً أن العنف المدرسي يأخذ أشكالاً تتماشى مع الشخص الذي يمارسه والشخص الذي يقع عليه العنف، وهو عبارة عن استخدام القوة الجسدية بشكل

متعمد اتجاه الآخرين من أجل إيذائهم وإلحاق أضرار جسيمة لهم ، ما يدعى (INFLICTED- INJURY) لي عضو أو عوجه ،و ذلك كوسيلة عقاب غير شرعية مما يؤدي إلى الآلام و أوجاع و معاناة نفسية جراء تلك الأضرار ،كما و يعرض صحة التلميذ للأخطار (يحي محمد نبهان، 2008، ص 177). كما يشمل العنف الجسدي الضرب باليد، و الضرب بأداة حادة، الخنق و الدفع و العض و المسك بالعنف و شد الشعر و البصق و لي أعضاء الجسم.

## (2) العنف النفسي:

العنف النفسي قد يتم خلال عمل أو الامتناع عن القيام بعمل، وهذا وفق مقاييس مجتمعية و معرفة علمية للضرر النفسي، و قد تحدث تلك الأفعال على يد شخص أو مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون القوة و السيطرة لجعل التلميذ متضرر، مما يؤثر على وظائفه السلوكية، الوجدانية، الذهنية، الجسدية و يضم هذا التعريف و تعريفات أخرى قائمة تعتبر عنف نفسي مثل : رفض و عدم قبول للتلميذ، إهانته، تخويفه، تهديده، عزله، استغلال، برود عاطفي، صراخ، تأنيب التلميذ كمتهم، اللامبالاة و عدم الاكتراث بالتلميذ (كامل عمران، 2003، ص 124).

## (3) العنف اللفظي :

يعتبر من أشد أشكال العنف خطراً على سوية الحياة المدرسية لأنه يؤثر على الصحة النفسية للأسرة المدرسية و خاصة أنّ الألفاظ المستخدمة تسيء إلى شخصية الأستاذ أو التلميذ ، و مفهومه عن ذاته. و يتمثل العنف اللفظي في الشتم و السب، و استخدام الألفاظ النابية، و عبارات التهديد، و عبارات تحط من الكرامة الإنسانية و تقصد بها الإهانة (فوزي أحمد بن دريدي، 2007، ص 37).

## (4) الاستغلال الجنسي :

هو اتصال جنسي بين تلميذ لآخر من أجل إرضاء رغبات جنسية عند الأخير مستخدماً القوة و السيطرة عليه. التكيل أو الاستغلال الجنسي يعرف على أنه دخول بالغين نظراً لان بعض التلاميذ غير ناضجين جنسياً و غير واعين لطبيعة العلاقة الجنسية و ماهية تلك الفعاليات الجنسية بعلاقة جنسية كما أنهم لا يستطيعون إعطاء موافقتهم لتلك العلاقة، و الهدف هو إشباع المتطلبات و الرغبات لدى المعتدي (يحي محمد نبهان، 2008، ص 178). وعلى العموم فإن أشكال العنف المدرسي الموجودة حقيقياً في مدارسنا و مؤسساتنا التربوية مؤشر واضح على فشل و إفلاس كبير لعملية التنشئة الاجتماعية سواءً الأسرية أو المدرسية في تشكيل جيل من التلاميذ متشبع بالقيم الأخلاقية ،حريص على الانضباط و الالتزام في السلوك ،تواق إلى تحقيق أحسن النتائج و أفضلها للبقاء دائماً في الريادة و الذروة و التآلق العلمي و المعرفي والأخلاقي. كما أنه مؤشر أيضاً على

اضطراب و ترهل المنظومة التربوية، والتي تستدعي حلولاً عاجلة للقضاء على مثل هذه الظواهر المرضية، و من تم إعادة البريق لهذه المنظومة لتحقيق الإقلاع الفكري و الثقافي و الحضاري المنشود.

و لا ريب أن للعنف المدرسي في الجزائر ظروف و عوامل تغذيه، فقد تكون مرتبطة بشخصية التلميذ، أو المدرس أو باقي الطاقم التربوي كما قد تكون مرتبطة ببيئة المدرسة و المناخ التربوي السائد فيها، وهناك من يرجعها إلى أسباب قانونية تستدعي إعادة النظر و الإصلاح، حري بنا إمطة اللثام عنها فيما يلي.

### ثالثا: أسباب و عوامل العنف المدرسي في الجزائر :

يجمع مختلف الباحثين المشتغلين في الحقل التربوي، أن العنف المدرسي ما هو إلا ظاهرة اجتماعية باثولوجية اجتمعت لبروزها ظروفًا و عوامل غير سوية، جعلتها تتضخم في مؤسساتنا التربوية بشكل غير مسبوق. و لعل الدارس المتفحص للدراسات و الأبحاث العلمية التي أجريت على هذه الظاهرة، يخلص إلى أن هناك شبه إجماع بين مختلف الباحثين، على أن ظاهرة العنف المدرسي تعود إلى أسباب أسرية، مدرسية، بيئية، نفسية، حري بنا تسليط الضوء عليها، و تناولها بالنقاش و التحليل فيما يلي:

### 1) الجو التربوي العام في المدرسة :

إن عدم وجود قوانين و لوائح واضحة تحكم عمل المؤسسات التربوي، و الافتقار إلى أنظمة تعالج مسائل الخلاف بين الأطراف الفاعلة في المؤسسة التربوية (الأساتذة، التلاميذ و الإدارة) (أحمد حويتي، 2003/2004، ص 247)، مبنى المدرسة، اكتظاظ الأقسام، التدريس غير الفعال و غير الممتع الذي يعتمد على التلقين و الطرق التقليدية، كل ذلك سمة المدرسة الجزائرية، رغم محاولات التغيير و الإصلاح المتلاحقة إلا أن هذا الوضع لم يتغير بل ازداد سوءًا في الكثير من المناطق التي تعرف تدفقًا سكانيًا هائلًا، الأمر الذي خلق العديد من الإحباطات عند التلاميذ، دفعهم إلى القيام بمشاكل سلوكية تظهر بأشكال عنيفة و أحيانًا تقود إلى تخريب المرافق و التجهيزات المدرسية، فضلاً عن ذلك فقد لاحظنا اللجوء المفرط للأساتذة لاستخدام العنف مع التلاميذ تحت تأثير الظروف الاجتماعية الصعبة، و ضغط العمل، و المشكلة أنهم يعتبرون نموذجًا للتلاميذ (يحي محمد نبهان، 2008، ص 176)، و كثير منهم يعد لدى التلاميذ قدوة لهم يقتدون بهم، فإذا كان الأستاذ يجيز استخدام العنف و يمارسه، فهو بذلك يشجع تلامذته على ذلك فيحاكون سلوكه العنيف فيما بينهم أو مع الطاقم التربوي الذي يتعامل معهم، و من تم يغدو و الأستاذ في هذه الحالة المشجع و المحفز على تنامي العنف في المؤسسة التربوية. كما يندرج أيضا ضمن الجو التربوي، كثرة الغياب و التغيير المتكرر في أوساط الأساتذة الأمر الذي يؤدي إلى ضرورة استخلافهم بمدرسين آخرين، و هذا بدوره يؤدي بالتلاميذ إلى الخروج عن النظام في القسم، و يساعد على تنامي الفوضى و التمرد داخل المؤسسة التربوية ككل، فليس من السهل أن تتوطد العلاقة بين التلميذ و مدرسيهم، و إن ذلك يتطلب جهدًا كبيرًا من قبل الطرفين معًا، و يتطلب المزيد من الوقت لتحقيق هذا الهدف (فوزي أحمد بن دريدي، 2007، ص 131)، و إلى أن تتوطد العلاقة ويحدث التفاعل

المرغوب فيه تكثر الصدمات و الشاحنات و تزداد الصراعات بين الطرفين حتى تأخذ أبعادًا خطيرة قد تؤدي إلى إحداث العاهات، أو حتى القتل، و تبادل الشتائم و الإهانات، و كل ذلك على حساب التحصيل العلمي، و الرسالة التربوية التي ينشدها المجتمع. و يضيف الباحث الاجتماعي الشامي ضمن نفس السياق إلى ذلك بالقول.... "كما أن الأسلوب الديمقراطي المتسم بالمرونة و التسامح المبالغ فيه الذي يستخدمه بعض الأساتذة قد يلاقي معارضة من قبل التلاميذ الذين لم يعتادوا على هذا النوع من المعاملة، فيحاولون جاهدين فحوص إلى أي مدى سيبقى الأستاذ قادرًا على تحمل إزعاجهم له، و كأنهم بطريقة غير مباشرة يدعونه إلى استخدام العنف، و إذا ما تجاوب الأستاذ مع هذه الدعوة فسيؤكد لهم أنهم تلاميذ مشاغبين لا ينفع معهم إلا الضرب (يحي محمد نبهان، 2008، ص 177)" و يكونوا بذلك قد أوقعوا الأستاذ في شرك العنف و أقصوه و من حيث لا يدري في مسؤولية انتشار العنف في المؤسسة التربوية.

### إحباط، كبت و قمع التلاميذ :

تعد متطلبات الأساتذة و الواجبات المدرسية التي تفوق قدرات التلاميذ وإمكانياتهم، التقدير و الثناء و المعاملة الحسنة فقط للتلاميذ الذي يكون تحصيلهم عالي، و الإهانة و الشتم للتلاميذ أصحاب النتائج الضعيفة، كلها عوامل و أسباب تؤدي إلى قمع و كبت التلاميذ، و من تم يعبرون عن رفضهم لها و إحباطهم منها بسلوكات عنيفة ضد المدرسة و المدرسين، قد تؤدي إلى حوادث مؤلمة و سلوكات خطيرة تنسف المهام الأساسية للمدرسة فيما يخص التربية و التهذيب، فلا ريب أن التلميذ الراضي عن أجواء المدرسة و المعاملات الحسنة التي يتلقاها من طرف الإدارة و المدرسين، غالبًا ما يتجنب ممارسة السلوكات العنيفة، و لا يفكر إطلاقًا في إثارة الشغب أو تخريب الممتلكات و التجهيزات المدرسية، و على نقيض من ذلك نجد أن التلميذ غير الراضي على وضعه في المدرسة، و يلقي معاملة سيئة من طرف مدرسيه و أعوان التربية و الإدارة يستخدم العنف كإحدى الوسائل التي يعبر بها عن رفضه و عدم رضاه و إحباطه (يحي محمد نبهان، 2008، ص 175). و من بين الممارسات السلبية و صور الاختلالات العلائقية التي نجدها في المدرسة الجزائرية و التي كثيرًا ما أدت إلى حالات عنف خطيرة أفضت حتى إلى حوادث مؤلمة نجد :

- 1- عدم التعامل الفردي مع التلاميذ و عدم تفهم متطلباتهم و خصوصية المرحلة العمرية التي يمر بها و عدم مراعاة الفروق الفردية داخل الصف.
- 2- عدم تقدير التلميذ كإنسان له احترامه و كيانه.
- 3- التشهير بجوانب الضعف عند التلميذ و الإكثار من انتقاده و الحط من كرامته.
- 4- الاستهزاء بالتلميذ و الاستهتار به و من أقواله و أفكاره.
- 5- عدم الاهتمام بالتلميذ و عدم الاكتراث به ما يدفعه إلى استخدام العنف ليلفت الانتباه لنفسه.

6- وجود فجوة عميقة بين الأستاذ و التلميذ بحيث لا يستطيع الأخير محاورته أو نقاشه حول علاماته أو عدم رضاه عن المادة، كذلك خوف التلميذ من السلطة يمكن أن يؤدي إلى خلق تلك المسافة.

7- الاعتماد على أساليب التلقين التقليدي.

8- عدم إتاحة المدرسة فرصة للتلميذ للتعبير عن مشاعرهم و تفريغ عدوانيتهم بطرق سليمة. إن مثل هذه الممارسات السلبية ودورها في تنامي السلوكيات العنيفة داخل المدرسة تتفق تماما مع نتائج دراسة أجراها الباحث الاجتماعي زيدان ،حيث يرى أن ضرب الأستاذ للتلميذ وتحقيره أمام الزملاء والتمييز بين الطلبة وضعف شخصية الأستاذ وعدم الإلمام بالمادة الدراسية واستخدام الإدارة التربوية الشدة الزائدة في محاسبة التلاميذ الذين يرتكبون الأخطاء وعدم قدرتهم على غرس مجموعة من القيم الاجتماعية الايجابية تعد عوامل أدت إلى تنامي ظاهرة العنف في المدرسة.

### أسباب تعود إلى وسائل الإعلام :

تلعب وسائل الإعلام دورًا بارزًا في نشر ثقافة العنف، و خاصة الإعلام المرئي من خلال الأفلام و المسلسلات التي تبث يوميًا، بالإضافة إلى العديد من القنوات الفضائية التي تساهم هي الأخرى في تشكيل خلفية العنف لدى التلميذ (أحمد حويتي، 2004/2003، ص 247) ،و تدعيًا لهذا الطرح تقول الباحثة تاجرت في سياق توضيح اثر التلفزيون باعتباره أهم وسيلة إعلامية في التنشئة الاجتماعية للطفل "... إن التلفزيون لا يقرب بين أعضاء الأسرة اللهم إلا ماديا.... والأهم من ذلك أن القيم التقليدية التي تبثها الأسرة في الأطفال أخذة في الضمور والاضمحلال لتحل محلها قيم تلفزيونية مشتقة من أفلام رعاة البقر ومسلسلات العنف وتمثيلات الجنس والجريمة، وهي دائرة ضخمة من الآثار الوخيمة ذات الحلقات المتصلة، وقيم التلفزيون ركام هائل من الغث والسمين جنب إلى جنب بدون مغزى أو هوية ... يطمس الحقيير العظيم ويضفي المعاني الهابط المتهافت على المعنى القدسي الرفيع ... يصاب الطفل بانعدام الوزن، وتتعطل لديه حاسة التميز، ويصير نهبا لكل ما هو غليظ وسمح". والباحث "ستيفن هويت" الذي يقول أيضا " التلفزيون يروج لعملية التربية الموازية والضارة لعمليات التربية التي تقوم بها المدرسة والأسرة ودور العبادة " (مراد زعيبي، 2002، ص ص 176 - 177). كما خلصت نتائج دراسات كثيرة عربية أو أجنبية إلى أن كثرة مشاهدة أفلام العنف في التلفاز تؤدي إلى تقشي ظاهرة العنف داخل المدرسة، و يرجع ذلك إلى رغبة التلميذ في التقليد و المحاكاة ،و المشاهد تقدم نماذج أمام التلميذ ينزع إلى تقليدها ،وفقًا لما تقرره نظرية التعليم الاجتماعي (عبد الرحمن العيسوي، 2007، ص 52)، و الحقيقة أن مشاهدة العنف و العدوان و القتل و سفك الدماء ،و الإصابات تنمي هذه السلوكيات لدى التلاميذ ،فيمارسوا العنف في حياتهم الواقعية سواءً في المدرسة أو خارجها ،و يمكن الجزم أن ما نلاحظه من أساليب لسلوكيات عنيفة يمارسها التلميذ في بعض المدارس الجزائرية ،هي عبارة عن تقليد ومحاكاة تامة للمشاهد التي يراها في أفلام أو برامج غربية أو حتى عربية تعرضها بشكل جذاب ومشوق ،و تعطي انطباعا بأنها رمز

الرجولة و القوة فتصبح بذلك محط انتباه وإعجاب التلميذ ،الذي لا يتوان في ترجمتها و تجسيد أساليبها في فضاء المدرسة.

### ضعف الرقابة و آليات الضبط الاجتماعي داخل المدرسة :

يعرف الضبط الاجتماعي على أنه مجموعة من المعايير و العقوبات السلوكية التي تعمل على دفع الفرد نحو التماثل المعياري (معن خليل العمر، 2004، ص 23)، إذا فهو على هذا النحو وسيلة من وسائل الضغط لحمل الفرد على اعتناق التقاليد والقيم السائدة في مجتمعه. (عدنان أبو مصلح، 2006، ص 308) و قد تناول المفكر العربي ابن خلدون مسألة الضبط الاجتماعي، و شدد على أهميته في تنظيم العلاقات الاجتماعية و دفع عدوان الأفراد عن بعضهم البعض، و ضمان حياة اجتماعية آمنة ومستقرة، و في هذا الصدد يقول "... إن الأدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع حاكم يزع بعضهم عن بعض..." و يضيف "...إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررنا و تم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان و الظلم و ليست السلاح التي جعلت دافعه لعدوان الحيوانات كافية عن دفع العدوان عنهم، لأنها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم على بعض و لا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم و إلهاماتهم، فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة و السلطان و اليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان..." (غريب سيد أحمد، 2000).

و بناء على ما تقدم نخلص إلى أن الرقابة و الضبط ، هي إحدى الآليات المهمة التي يلجأ إليها القائمون على المدرسة لضمان السير الحسن للعملية التعليمية ،فهي تهدف الى فرض منطوق الانضباط و الالتزام على التلاميذ لتحقيق غرضين أساسيين.

الأول و هو توجيه تركيز التلاميذ و انتباههم إلى الدروس التي يتلقونها طيلة السنة و ما يترتب عليه من الرفع عن قدرتهم التحصيلية و الاستيعابية لتحقيق أفضل النتائج، و الثاني من أجل تعويد التلاميذ على الانضباط في السلوك ،الذي يحصنهم من الانحراف و التهور، ليس فقط في المدرسة و إنما أيضا في الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه. غير أن الرقابة و الضبط في مدارسنا لا زالت تعاني من الضعف، و عدم الكفاية خصوصا لدى أعوان الإدارة التربويين ممن تؤدي رقابتهم و متابعتهم المستمرة لأماكن تواجد التلاميذ و سلوكياتهم، إلى بسط الأمن و الضبط و الربط داخل المدرسة ،و الحرص على المواظبة و على أداء العملية التعليمية أكمل وجه (عبد الرحمن العيسوي، 2007، ص 56)، بل سجلنا في بعض الأحيان تقاعسا و عدم الجدية و الحزم من طرفهم اتجاه التلاميذ المشاغبيين ،مما فسح المجال لحدوث بعض الأحداث الدرامية تسببت في كثير من الأحيان في أحداث إصابات خطيرة و عاهات مستديمة ،لا يجوز أن تحدث في مؤسسة تربوية.

كما أنّ غياب المجالس التأديبية في بعض مدارسنا التي توكل لها مهمة الفصل في التجاوزات و ردعها ، و عدم التعاون و التنسيق بين جمعيات أولياء التلاميذ و إدارة المدرسة، ساهم في خلق مناخاً مدرسياً ملائماً لتنامي العنف المدرسي بشكل غير مسبوق في الجزائر .

### الظروف الأسرية للتلميذ و علاقته بالعنف :

يؤكد الكثير من الباحثين المهتمين بالتنشئة الاجتماعية الأسرية للطفل أنّ غياب التفاهم و الانسجام ما بين الأب و الأم في أساليب معالجتهم لمشكلات أبنائهم من شأنه أن يؤدي إلى نوع من التطرف في المعاملات التربوية، مما يمنع الأبناء من اكتساب المبادئ التربوية السليمة وتميعها لديهم، إذ أنّ هناك علاقة قوية بين عقاب الآباء للأبناء وظهور السلوكات العنيفة لديهم، و هذا ما انتهت إليه الباحثة نوال سليمان حين أكدت "على أن انعدام الحنان و ممارسة العقاب يؤديان إلى نشأة الطفل العنيف .....، وأن الضرب المبرح كوسيلة لعقاب الطفل يعتبر أحد أسباب ميوله إلى العدوانية و العنف تم أنه يلجأ إليه في حل مشاكله مع الآخرين، فيصبح البطش بالضعيف و العدوان أهم المهارات التي يمتلكها و يلجأ إليها خلال حياته" (عبد الكريم قريش، 2003-2004، ص 431)، و ضمن الإطار نفسه كشف مجموعة من الباحثين ،و من خلال خلاصة أبحاثهم ودراساتهم التي أجروها على عدد من التلاميذ ممارسي العنف في المدارس، أن عنف التلميذ في المدرسة قد يرجع إلى معاناته من المشاكل الأسرية كالطلاق و الهجرة و الانفصال و الصراع الأسري العاطفي بين الأم و الأب أو وجود تكتلات من الأبناء مع الأم أو مع الأب، أو معاناة الطفل من الإهمال و النبذ.

و الطرد و شعور الطفل بأنه غير مرغوب فيه اسريا، أو الشجار بين الإخوة و الأخوات، و احتدام روح المنافسة بينهم و الكراهية أو الغيرة، أو وجود الأب في السجن، أو في سفر طويل أو معيشة الطفل مع زوج الأم أو زوجة الأب، أو كثرة عدد أفراد الأسرة أكثر من العدد الطبيعي داخل الأسرة، أو إدمان الأب أو الأم على المخدرات أو ميل الأب أو الأم للاستعمال العنف (عبد الرحمن العيسوي، 2007، ص 51)، و هي الظروف الأسرية التي يعيش في ظلها عدد لا بأس من تلامذتنا، وغدت لديهم تبعا لذلك الرغبة في العدوان و العنف و الأذى بالآخرين كتعبير عن رفضهم و إحباطهم من الواقع الأسري المزري الذي يعيشون فيه. واتساقا مع هذه المقاربة التربوية التحليلية خلصا الباحثان السن مايكل إلى نتيجة هامة من دراسة أجروها على مجموعة من الأطفال العدوانيين والمضطربين انفعاليا والمتأخرين دراسيا قد تعرضوا للقسوة والنبذ من الوالدين، و أن 80 إلى 90 % من الأطفال العنيفين كانوا في طفولتهم ضحايا سوء معاملة الوالدين والنبذ والتسلط الذي عاشوه في طفولتهم، لذلك يعتقد الباحث "راجيل" إن أساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة أو غير السوية تحدد عدد الجانحين والمنحرفين الفعليين في أي مجتمع من المجتمعات ( صالح محمد علي أبو جادوا، 2002، ص 222).

و أمام كل هذه العوامل و الأسباب نجد أنفسنا مجبرين على البحث على السبل الكفيلة بوقاية المدرسة الجزائرية من العنف والعنف المضاد الذي أضحي سمة يومياتها و ذلك لاقتناعنا التام أن العنف في المدرسة الجزائرية من

نشأته أن يضرب جميع الإصلاحات التي باشرت بها وزارة التربية الوطنية في سبيل رفد و ترقية المنظومة التربوية في الجزائر و الولوج بها إلى مكانة تؤهلها لأن تكون منارة للعلم و المعرفة و الإبداع و الابتكار و الأدب و الأخلاق و هذا ما نصبوا إلى رؤيته يتجسد اليوم قبل الغد و عليه سنحاول فيما يلي أن نقدم بعض السبل الكفيلة بوقاية المدرسة الجزائرية من العنف.

#### رابعاً : الاستراتيجيات الوقائية الكفيلة بمكافحة العنف المدرسي في الجزائر :

إن وقاية المدرسة الجزائرية من العنف لا بد أن يكون من بين أولى الأولويات التي تتطلب تضافر الجهود و مضاعفتها من كافة الأطراف التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالمؤسسات التربوية، على غرار الأسرة، الأساتذة، الإدارة، أعوان التربية العاملين في المدرسة، و من بين ما يجب في تقديرنا فعله من أجل تحصين المدرسة من هذه الظاهرة ضرورة توفير الأنشطة الإيجابية النافعة والتي تمتص فائض طاقة التلاميذ على غرار الرياضة، الموسيقى، الرسم، الأشغال اليدوية بهدف الإعلاء أو التسامي بالدوافع و الطاقات إلى القنوات الإيجابية و النافعة و التي تصقل شخصية التلميذ و تتميها وتكسيبها الخبرة و المعرفة و تزيد من الشعور، بالثقة في نفسه و تنمي الألفة و المحبة بينه وبين المدرسة.

لذلك ينصح الباحثين لوقاية المدرسة من العنف بتجنب تشديد العقوبات الصارمة على التلميذ أو فرض العقاب و استبدال ذلك بالأساليب التربوية النفسية الهادفة مثل معالجة مشكلة قضاء وقت الفراغ، و تعيين أخصائي نفسي أو اجتماعي في كل مدرسة لتقديم الرعاية النفسية الاجتماعية للتلاميذ في مجالات الإرشاد و التوجيه وإسداء النصيحة لحل مشاكلهم. كذلك إقامة معسكرات لنشاط التلاميذ و الاهتمام بإعداد الأستاذ الحديث على أسس علمية و تربوية و أخلاقية و دينية و وطنية، و خلق مجالات كثيرة لإحراز البطولات و الفوز بالمسابقات لتشجيع الطلاب على النشاط الهادف، و من ذلك أيضا تدعيم دور الأسر المدرسية التي ترعى الهوايات أو الأنشطة الحرة و تتميتها، و تنظيم المسابقات الثقافية و العلمية و الفنية، لشغل أوقات التلاميذ، و تنمية مواهبهم و إبعادهم عن اللهو و العبث و التسبب و الجنوح و العنف و العدوان (عبد الرحمن العيسوي، 2007، ص 85) كما ينصح بعض التربويين في الجزائر بضرورة تطبيق بعض الإجراءات التربوية التهذيبية للوقاية من العنف و منها :

1- تدعيم خلايا الإصغاء و المتابعة النفسية و الإرشادية و تشجيع النشاطات الصفية و الأنشطة البدنية و تعزيز صلاحيات مستشار التوجيه في التكفل النفسي و الاجتماعي بالتلاميذ لهدف تهذيب و ترشيد سلوكهم في الوسط المدرسي.

2- توعية الأساتذة بضرورة تعليم التلاميذ السلوك المرغوب فيه و مكافأتهم عليه و شكرهم و شكر ولي أمرهم لإشراكهم في العملية التربوية.

- 3- إشعار ولي الأمر بمخالفات ابنه أولاً بأول و توثيق ذلك و استخدام لوحات الشرف للطلبة المثاليين.
- 4- تكوين أساتذة مستعدين للتفاعل مع مهمتهم و مستمتعين بها والمحتسب لما يقوم به عند الله عز وجل من أجل مجتمعه و وطنه، مع إعداده لتطبيق القواعد المذكورة في بناء العلاقة التربوية مع التلاميذ و تكوين أسرة تربوية جماعية في المدرسة (يحي محمد نبهان، 2008، ص 197).
- 5- تكثيف الرقابة و المتابعة لسلوك التلاميذ و أماكن تواجدهم في المدرسة.
- 6- تدعيم آليات الضبط داخل المدرسة لفرض الانضباط و الالتزام بقوانين المؤسسة و كذا تفعيل مجالس التأديب للتصدي لكل الإنزلاقات وأشكال العنف التي قد تؤدي إلى عواقب وخيمة لا تحمد عقباها.
- 7- فتح قنوات اتصال دائمة و مستمرة بين الأسرة و المدرسة لتبادل المعلومات و النصائح في كل ما يتعلق بالتلميذ من حيث سلوكه وممارساته و تحصيله العلمي.
- 8- تكليف التلميذ المشاغب بأعمال تخص القسم لإشعاره بقيمته و الرفع من شخصيته حيث أن سلوك المشاغبة أو أي انحراف قد يصدر من تلميذ الهدف منه في أغلب الأحيان هو فقط لإثبات الذات و محاولة لفت الانتباه.

### الخاتمة :

لا يمكن لأي إصلاح تربوي أن يكتب له النجاح و أن يحقق الأهداف المرجوة منه في ظل منظومة تربوية تعاني من ظواهر مرضية خطيرة تهدد كيانها وتعبث بمصداقيتها وأهدافها على شاكلة العنف المدرسي، تعاطي المخدرات في الوسط المدرسي، الانحراف و الجريمة ... الخ.

لذلك نعتقد أنه حان الوقت للالتفاتة إلى مثل هذه الظواهر ومعالجتها من خلال دعوة الباحثين و الأكاديميين المهتمين بشأن التربوي لتقديم اقتراحاتهم وآراءهم الموضوعية لمعالجة هذه الظواهر و القضاء عليها، وعلى الوصايا أخذها بعين الاعتبار و تنفيذها بعدة صيغ و إجراءات لضمان نجاحها و من ثم تحقيق النتائج المرغوب فيها، و كل ذلك من شأنه أن يقوي المنظومة التربوية في الجزائر و يدفع بها قدماً نحو المزيد من النجاح و التآلق.، ذلك أن علماء الحضارة يشددون على أن الشرط الأساسي لاستئناف البناء الحضاري لأي مجتمع من المجتمعات مرهون بقوة نظامه التربوي، وسلامته من كافة الظواهر الهدامة الكفيلة بنسفه وتقويض جهوده في سبيل إنتاج أفراد ذوو جودة علمية معرفية وكذلك أخلاقية راقية ،يوظفون بمسؤولية أحداث الإقلاع العلمي والحضاري، والتموي الذي تتوق إليه مجتمعاتهم ،في عالم لا يعترف و لا يحترم بل ويستبد بكل مجتمع يعاني أفراد من تكلس معرفي خطير ويكابد ويلات الجهل والتخلف.

**المراجع المعتمدة:**

- 1- أبو مصلح. عدنان. (2006). ط1. معجم علم الاجتماع. دار أسامة للنشر و التوزيع. و دار المشرق الثقافي. عمان. الأردن.
- 2- العيسوي. عبد الرحمن. (2007). سيكولوجية العنف المدرسي و المشاكل السلوكية. ط1. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.
- 3- بن دريدي. فوزي أحمد. (2007). العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية. منشورات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض. السعودية.
- 4- تهناني. محمد عثمان منيب. عزة. محمد سليمان. (2007). العنف لدى الشباب الجامعي. منشورات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. الرياض. السعودية.
- 5- حويتي. أحمد. (2004/2003). العنف المدرسي. مقال منشور في كتاب جماعي موسوم ب العنف والمجتمع. منشورات جامعة محمد حيزر. بسكرة. الجزائر.
- 6- زعيبي. مراد. (2002). مؤسسات التنشئة الاجتماعية. منشورات جامعة باجي مختار. عنابة. الجزائر.
- 7- سموك. علي. (2007). إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقارنة سوسيولوجية. كتاب لمخبر التربية، الانحراف و الجريمة في المجتمع الجزائري، د.م.ج. عنابة. الجزائر.
- 8- صالح. محمد. علي. أبو جادوا. (2002). ط3. سيكولوجية التنشئة الاجتماعية. دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة. عمان. الأردن.
- 9- عمران. كامل. (2004/2003). تأثير العنف المدرسي على شخصية التلاميذ. مقال منشور في كتاب جماعي موسوم ب العنف و المجتمع. منشورات جامعة محمد حيزر. بسكرة. الجزائر.
- 10- غريب. سيد أحمد. (2000). تاريخ الفكر الاجتماعي. دار المعرفة الجامعية. مصر.
- 11- قريشي. كريم. أبي مولود. عبد الفتاح. (2004/2003). العنف في المؤسسات التربوية. مقال مشترك منشور في كتاب جماعي موسوم ب العنف والمجتمع. منشورات جامعة محمد حيزر. بسكرة. الجزائر.
- 12- لهوازي. محمد. (2017). 40 ألف حالة عنف مدرسي في الجزائر!. مقال منشور في بوابة الشروق الالكتروني. مأخوذ من الموقع الالكتروني [www.echoroukonline.com](http://www.echoroukonline.com).
- 13- معن. خليل. العمر. (2004). ط1. التنشئة الاجتماعية. دار الشروق للنشر و التوزيع. عمان. الأردن.
- 14- نيهان. يحي محمد. (2008). الأساليب التربوية الخاطئة و أثرها في التنشئة الاجتماعية. دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع. عمان. الأردن.